﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: 158]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

رغَّب سبحانه وتعالى المجاهدين في الآية قبلها بالحشر إلى مغفرة الله، وفي هذه الآية زاد في إعلاء الدَّرجات، فرغَّبهم هاهنا بالحشر إلى الله[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُحْشَرُونَ﴾: الحاء والشّين والرَّاء أصلٌ، هو السّوق، والبعثُ، والانبعاث. والحشرُ الجمعُ مع سَوْقٍ، وكلُّ جمعٍ حَشرٌ[2]. وهو إخراج الجماعة عن مقرِّهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب، ونحوها، ولا يُقال الحشر إلّا في الجماعة، وهو الخُروجُ في النَّفير إذا عَمَّ[3]. فالحشر سَوقٌ من المقارّ، ويزيد عليه الجمع، أي: التّضامُّ في المكان المحشور إليه. والمقصود بـ الحشرِ في الآية الكريمة يوم القيامة.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

توكيدُ أنَّ المآل كلّه إليه سبحانه تصحيحٌ للقيم والتَّصورات

تبيِّنُ الآيةُ بأنَّ مصير العباد جميعًا إليه وحده على أيِّ حال كان انقضاء حياتهم، موتًا، أو قتلًا في سبيله، فإلى الله المرجعُ، والمعادُ، فيجازيكم بأعمالكم، فآثروا ما يقرِّبكم من الله ومن الجنّة، ويُوجب لكم رضاه، من الجهاد في سبيل الله والعمل بطاعته، على الرّكون إلى الدّنيا، وما تجمعون من حُطامها الّذي هو غير باقٍ لكم، بل هو زائلٌ عنكم[4].

وترشدُ الآية الكريمة إلى تحقير أمر الدُّنيا والحضِّ على طلب الشَّهادة، أي: إذا كان الحشر حتميًّا في كلا الأمرين فالمضي إليه في

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/404.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (حشر).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن الأثير، النّهاية: (حشر).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 7/339.

حال الشّهادة أولى[1]. وذلك أنَّ مصير كل من يموت أو يقتل صائرٌ إلى الله تعالى مهما كان سبب موته أو قتله، ومهما طالت حياته، ومن هنا فالاشتغال بذكر سبب هذا المصير ومبدئه لا يفيد، وإنّما الّذي يفيد هو الاهتمام بذلك المستقبل والاشتغال بالاستعداد له، وذلك دأب العقلاء من المؤمنين[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة التّعبير عن المستقبل بالماضي:

مبالغة في تحقّق وقوع الفعل، وتأكيد حصوله

من عادات القرآن التَّعبير عن الشَّيء اللّازم الحصول في المستقبل بأنّه حَدَثَ أو هو حادث قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1]؛ إذ لو وقع التّعبير عنه بلفظ المستقبل لم يكن فيه مبالغة كوقوع التَّعبير عنه بلفظ الماضي[3].

ومن هنا جاء التَّعبير بالفعلين ﴿مُتُّمۡ﴾ و﴿قُتِلۡتُمۡ﴾ بصيغة الماضي؛ لاستحضارِ مشهد الموت، والقتل، وكأنَّه حاصلٌ تأكيدًا لتحقُّق وقوعه؛ فلا يشكَّنَّ به إلّا جاحدٌ، ولا يغفلنَّ عنه إلّا لاهٍ.

علّة الشّرط بـ (إنْ):

الموتُ محتمِلُ الوقوعِ في القتالِ، وليس لازمًا له

آثر النَّظم استعمالَ (إنْ) وهي تُستعملُ فيما هو مظنَّةُ الوقوعِ، والموت المذكورُ في الآية مقطوعٌ بوقوعِه، والسِّياقُ هو في الحديث عن الجهاد والقتال في سبيل الله، ومعلومٌ أنَّ القتالَ في المعارك مظنّةُ الموتِ، فهو ليس من لوازم الحرب والقتال، فناسب أن يكون الشّرط بـ(إن) لكون الموت مُحتملَ الوقوعِ في القتال، وليس لازمًا له[4].

دلالة حذف مُتعلَّق الموت والقتل:

قولُه تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ خطابٌ عامٌّ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/533.
(2) رضا، تفسير المنار: 4/162.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/401.
(4) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/202.

للمؤمن والكافر للإخبار بأنَّ مصير الجميع إليه، فيُجازي كلًّا بعمله، وتوجيهُ ذلك أنَّ الموت والقتل لمّا أُطلقا، ولم يُقيَّدا بذكرٍ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كما قُيِّدا في الآية السَّابقة، فُهم أنّ ذلك عامّ[1].

تنوُّعُ احتمالِ أن يكونَ الخطابُ عامًّا وخاصًّا

وذهب الواحديُّ إلى أنّه خطابٌ للمؤمنين كالخطاب السَّابق، وتقديره عنده: ولئن مُتّم مقيمين عن الجهاد، أو قُتلتم مجاهدين؛ لإلى الله تحشرون، يعني: في الحالتين، وهذا تهديد بالحشر، وتحذير من القيامة[2]، ووافقه أبو حيّان بدليل تقدير الزّمخشريّ: لإلى الرّحيم الواسع الرّحمة المميت العظيم الثّواب تحشرون[3].

توجيه المتشابِه اللَّفظي تقديمًا وتأخيرًا في لفظتي الموت والقتل:

تقديمُ القتلِ للتَّحريض على الجهاد، والموتِ لأنّه الأغلبُ

تقدّم ذكرُ القتل على الموت أوّلًا؛ لأنّه محلُّ تحريضٍ على الجهاد، فقدَّم الأهمَّ والأشرفَ. وقدَّمَ الموت هنا على القتل؛ لأنّها آية وعظ بالآخرة والحشر، وتزهيد في الدُّنيا والحياة، والموت فيها مُطلَق لم يقيّد بشيء، فإمّا أن يكون الخطاب مُختصًّا بمن خُوطب قبل، وإمّا أن يكونَ عامًّا واندرج أولئك فيه، فقُدِّم لعمومه؛ ولأنّه أغلب في النّاس من القتل[4]، أي: لمّا ذكرَ أشرفَ الموت بدأ بأشرفِه، ولمّا ذكَرَ ما دونه بدأ بأدناه[5].

وتوجيهٌ ثانٍ وهو:

مناسبةُ التَّقديمِ باعتبارِ الجزاءِ والمثوبة

أنّه ابتدأ بالقتل أوّلاً؛ لكونه خطابًا للمؤمنين الّذين جاهدوا في أعقاب مقتلةٍ أصابتِ المسلمين، وأصابهم هَمٌّ بسببها، وابتدأَ بالموت ثانيًا لأنَّ الخطاب لعموم المسلمين فناسبَهُ الجزاء العامّ غير المميَّز بفضلٍ ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فأكثرهما مستويان في الحشر[6].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/103.
(2) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 1/512.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/103.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/532، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/103.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/105.
(6) الخفاجي، عناية القاضي: 3/74، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1472 - 1473.

الاعتبار بمظنّة البُعد أو القُرب عن المتَعَلَّق

وتوجيهُ ثالثٌ وهو:

أنَّه قدّم القتل في الآية السَّابقة ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ والموت في هذه الآية اعتبارًا بعطف ما يُظنُّ أنَّه أبعد عن الحكم، فإنَّ كون القتل في سبيل الله سببًا للمغفرة أمرٌ قريبٌ، ولكن كون الموت في غير سبيله أمرٌ خفيٌّ مُستَبعَد، وكذلك تقديمُ الموت في الثَّانية؛ لأنَّ القتل في سبيل الله قد يُظنُّ أنَّه بعيدٌ عن أن يعقُبَه الحشرُ[1].

مناسبة طبيعة الميتة لنوع الفعل

وتوجيهٌ رابعٌ وهو:

الغالب في نوع ميتة المقاتلين القتل؛ لذلك قدَّم القتل على الموت في الآية الأولى؛ فالآية جاءت كما أسلفنا في القتال، أمّا هذه الآية فالحديث فيها عن مصير جميع العباد وأكثرهم يتوَّفاه اللّٰه بسبب الموت؛ لذا قدَّم الموت على القتل[2]؛ لأنّه أعمُّ من القتل وأكثر[3].

توجيه معنى اللّامينِ في الآية:

لامُ القَسَم لتأكيدِ الحصرِ والاختصاصِ

اللّام في قوله ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ كاللّام في الآية قبلها موطِّئةٌ للقسم، أي: مُؤذنةٌ بأنَّ قبلها قسمًا مُقدَّرًا، وفي ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ هي المُتلقِّية للقسم[4]، وإدخال لام القسم على المعمول المُقدَّم مُشعِرٌ بتأكيد الحصر والاختصاص، وبأنّ ألوهيّته تعالى هي الّتي تقتضي ذلك[5].

لام التّأكيد للتّنبيه على أنّ الألوهيّة تقتضي الحشر

إدخالُ لام التّأكيد في حرفِ الجرِّ الدَّاخلِ على اسم اللّٰه حيث قال: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ تنبيهٌ على أنّ الألوهيّة تقتضي هذا الحشر والنّشر، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: 15][6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/143 - 144.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 3/1835.
(3) رضا، تفسير القرآن الحكيم: 4/162.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/532، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/143.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 3/74 - 75، والآلوسي، روح المعاني: 4/105.
(6) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/404 - 405.

بلاغةُ تقديم مُتعلَّق الفعل عليه في قولِه: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾:

تنبيهُ العبادِ إلى أنَّ منتهى الأمرِ الحشرُ

قولُه تعالى: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ مُتعلِّقٌ بـ ﴿تُحۡشَرُونَ﴾، وفي وجهِ تقديمِه ما يأتي:

أوَّلًا: للاختصاصِ والحَصْرِ، أي: إلى الله لا إلى غيره يكونُ حَشْرُكُم، فلا رجاءَ، ولا ثوابَ إلّا منه، ولا حاكم في ذلك اليوم، ولا ضارّ، ولا نافع إلّا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر: 16]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: 19][1].

ثانيًا: قُدِّم للاعتناءِ به والاهتمامِ بذكرِه، وزاده حسنًا هنا أن تأخّر الفعل هنا بوصفه فاصلة، فلو تأخّر المجرور لفات هذا الغرض؛ إذ في التّقديم تضمّنتِ الآية تحقيرَ أمر الدّنيا والحرص على الشّهادة، وأنّ مصير النَّاس جميعًا إلى الله، فالموافاة على الشّهادة أمثلُ بالمرءِ ليُحرزَ ثوابَها، ويجده وقت الحشر[2].

نكتةُ إظهارِ الاسمِ الأعظمِ:

مَواضِع الإعجاز والاستحالة دلائلُ العظمة

دلّ إظهارُ اسمِ الله الأحسنِ على عظمته[3]؛ إذِ الموتُ، والبعث، والحشر من محالات الأمور الّتي لا يقدر عليها غيره سبحانه، كما أنَّ كمالَ الصّفاتِ هي كمالٌ للرّحمةِ، وكمالٌ للقهرِ، فمصداقُ كمالِ الرّحمةِ أعظمُ أنواع الوعد، ومصداقُ كمال القهر أشدُّ أنواعِ الوعيد[4]، ولكون اسمه الأعظم اسمًا للذّات، الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال، كان ذكره في مَعرِض الوعد مُنبئًا عن تمام الرّضا والكرم والرّحمة، وفي مَعرِض الوعيد عن غاية السّخط والانتقام[5].

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/404.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/103.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/105.
(4) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/404.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 3/74 - 75.

سرّ التّعبير بالفعل المبنيّ للمفعولِ:

تـركُ التّصريح بالفاعل في مثل هذا المَوضِع أدلّ على العظمة

قوله: ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ فعلٌ لم يُسمَّ فاعلُه، مع أنّ فاعل ذلك الحشر هو الله، وإنّما لم يقع التّصريح به؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ دالٌّ على الفاعلِ، ولأنّه تعالى هو العظيم الكبير الذي شهدتِ العقولُ بأنّه هو الله الّذي يُبدئ ويعيد، ومنه الإنشاء والإعادة، فترك التّصريح في مثل هذا المَوضِع أدلّ على العظمة، وأدعى لانشغالهم بالفعل عن الفاعل المعروف، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: 44][1].

ولبيان أنّه لا حيلة في دفع الموت على أيِّ حالة من الحالات، قتل أو غيره، ولا في الحشر إليه سبحانه وتعالى، وأمّا الخلاص من هول ذلك اليوم ففيه حيلة بالطّاعة[2].

عمومُ الخطابِ في قولِه تعالى: ﴿تُحۡشَرُونَ﴾:

التّعبير بالجمع للإنذار والتّبشير، والتّذكر باللّقاء، ولتحقيق كليّة الجمع

قوله: ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ خطابٌ مع الكلّ، فهو يدلّ على أنّ جميع العالَمين يجتمعون، ويحشرون، ويوقفون في عرصة القيامة وبساط العدل، لا يفلت منهم أحد، فيجتمع المظلوم مع الظّالم، والمقتول مع القاتل، والحقّ سبحانه وتعالى يحكم بين عبيده بالعدل المبرأ عن الجور[3]. وفي هذا إنذارٌ، وتبشيرٌ، وتذكيرٌ بلقاء الله العليّ الكبير[4].

براعة ترتيب الجزاء:

الترقّي في مقامات العبوديّة

في هذه الآية والّتي قبلها ترتيبٌ للجزاء في غاية الحُسن؛ فإنّه قال في الآية الأولى: ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وهي التّجاوز عنِ السّيئات، وذلك إشارة إلى مَن عَبَدَه خوفاً من عقابه، ثمّ قال: ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾، وهي التّفضُّل بالمثوبات، وهو إشارةٌ إلى مَن عَبَدَه لطلب ثوابه، ثمّ ختمها

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/405.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/105.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/405.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1473.

بقوله: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾، وهو إشارةٌ إلى مَن عَبَدَه لمجرَّدِ العبوديّةِ والرّبوبيّةِ، وهذا أعلى المقاماتِ وأبعد النّهايات في العبوديّة في علوّ الدّرجة، فبين الحشر إلى مغفرة الله، والحشر إلى الله فرق كبير، فالّذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعته ومجاهدة عدوّه يكون حشرهم إليه هو، واستئناسهم بكرمه، وتمتّعهم بشروق نور ربوبيّته[1].

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/404، والخلوتي، روح البيان: 2/115.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»